Mesopotamian journal of Arabic language studies
Vol.2025، **pp**. 1–12
DOI: https://doi.org/10.58496/MJALS/2025/006: ISSN: 3005–8910
https://mesopotamian.press/journals/index.php/MJALS

العربي لسان الظاء: التطور الصوتي وهوية اللسان العربي المعاصر بين الظاء والضاد

Arabi is the Language of Ḍhāʾ: Arabic Phonetic Evolution and the Identity of the Arabi (Contemporary Standard Spoken Arabic CSSA)

ناصر الحجاج [1,*]
[1] قسم اللغة الإنكليزية، كلية دجلة الجامعة، بغداد، العراق.

Nasser Hajjaj [1,*]
[1] Department of English, Dijla University College, Baghdad, Iraq.

الخلاصة

إن لساننا العربي بما حوى من لغات عربية، هو لسان الظاء، الصوت الذي تفرد بلفظه العرب، وعجزت ألسن الأعاجم عن النطق به، وقد كان حرف الظاء، وما يزال، أقرب الحروف مخرجا ونطقا من الضاد، بحيث تُجمع أكثر المصادر التاريخية التي تناولت الأصوات العربية أن العرب لم يكونوا يميزون قبل مرحلة التدوين، بين صوت الظاء (ظ) وصوت الضاد (ض)، أو أنهم قد يميزون بينهما ولكن بصعوبة بالغة، حتى أنهم كانوا يقرأون الآية القرآنية "وما هو على الغيب بظنين" بالضاد أيضا "وما هو على الغيب بضنين" مما دفع كثيرا من اللغويين العرب أمثال الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)، وأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤) وأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) إلى تأليف عشرات الكتب للتفريق بين الصوتين. ولا يزال العرب . في المشرق العربي خاصة؛ كالعراق وبلدان الخليج العربي . يواجهون صعوبة في التفريق بين الصوتين نطقا وإملاءً، وهو ما أدّى إلى كتابة الصوتين برسم واحد في اللغة الإنكليزية في كلمة أبو ظبيAbu Dhabi ، وكلمة الرياض .Riyadh إلا أن بعضا من المصريين . في القاهرة . بدأوا، مطلع القرن العشرين، يفرّقون بين الصوتين بتغييرهم نطق صوت "الضاد" وإخراجه من غير المخرج الذي جرت عليه عادة العرب كصوت متفشٍ احتكاكي أسناني(fricative) ، إلى مخرج جديد مختلف كصوت انفجاري (Plosive) مفخم مثل حرف الدال .

تحقق هذه الورقة في التطور الصوتي الذي اعترى نطق بعض العرب المحدثين لصوت الضاد، من صوت متفشٍّ احتكاكي وتأثير هذا "اللحن" على الإملاء العربي المعاصر، وعلى هوية اللسان العربي، وفي جدوى أن يتميّز اللسان العربي بحرف الظاء، بدلا من تميّز اللغة العربية بحرف الضاد".

ABSTRACT

Arabic, encompassing its diverse linguistic varieties, is the tongue of the Ḍhāʾ- a sound uniquely articulated by Arabs, which non-Arabic speakers historically struggled to pronounce accurately. The letter Ḍhāʾ (ظ) has always been phonetically and articulatory closer to Ḍhād (ض) than any other letter. Historical sources examining Arabic phonetics largely agree that pre-codification Arabs either did not distinguish between the sounds of Ḍhāʾ and Ḍhād or did so with great difficulty. This ambiguity led to instances where Quranic verses, such as Ḍhanīn in "وما هو على الغيب بظنين" were also recited with Ḍhād ("بضنين"). This phenomenon prompted renowned Arab linguists like Al-Ṣāḥib ibn ʿAbbād (d. 385 AH), Abū ʿAmr al-Dānī (d. 444 AH), and Abū al-Barakāt al-Anbārī (d. 577 AH) to author numerous works differentiating the two sounds.

To this day, Arabic speakers - particularly in the Eastern Arab world (e.g., Iraq and the Gulf states) - face challenges in distinguishing these sounds both orally and orthographically. This is evident in the English transliteration of words like Abu Ḍhabi (أبو ظبي) and Riyaḍh (الرياض), where both sounds are represented by the same letter. However, in the early 20th century, some Egyptians in Cairo began differentiating the two sounds by altering the pronunciation of Ḍād. They shifted it from its traditional Arabic articulation as a voiced dental fricative to a new emphatic plosive sound, akin to the letter Dāl (د). This paper investigates the phonetic evolution affecting some Arabs' pronunciation of Ḍhād, the impact of this "linguistic shift" on contemporary Arabic orthography and the identity of the Arabic tongue, and the feasibility of redefining the Arabic linguistic identity through the distinctiveness of Ḍhāʾ rather than Ḍhād.

*Corresponding author nasser.hajjaj@duc.edu.iq

Keywords

الكلمات المفتاحية

علم الأصوات العربية، المحلية العربية، اللسان العربي، اللغة العربية، التطور اللغوي

Arabi, Arabic Language, Linguistic Evolution, Arabic Phonetics, Arabic Vernaculars, Arabic Tongue

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	قبول النشر	النشر الالكتروني
5/2/2025	3/4/2025	1/5/2025

١. مقدمة

لم تكن العرب تفرّق بين ما نعرفه اليوم من صوتي حرف الضاد، وحرف الظاء[١]، وكانت ترى أن لفظهما واحد، [٢] بمستويين؛ خفيفة وثقيلة، (أو مفخمة ومرققة بتعبير العلامة الجَزْري[٣]) أي ظاء ثقيلة كما في "ظل" (بقي)، وخفيفة كما في "ضل" (ما اهتدى). ومن المعروف أن الأصوات بشكل عام تلفظ خفيفة وثقيلة بحسب السياق اللفظي، وتأثيرات الأصوات المجاورة، فالباء الخفيفة مثل قولنا "حَبْ"، بفتح الحاء، والباء الثقيلة مثل قولنا: "حُبْ". وكذلك اللام الثقيلة (المفخمة) في لفظ الجلالة، كقولنا "الله أكبر"، و الخفيفة (المرققة) كقولنا "بسم الله". والميم الخفيفة في قولنا "أَمّ" والميم الثقيلة في قولنا "أُمّ". وباعتبار الظاء والضاد صوتا واحدا مفخّما ومرققا، فقد بذل اللسانيون جهودا كبيرا للتفريق بينهما، وألّفوا كتبا كثيرة بلغت أكثر من 30 مؤلفا[٤]، للتفريق بين طبقتي هذا الصوت، أي الظاء الخفيفة ض، والظاء الثقيلة ظ. ومن أمثلة الكتب، التي ألّفها عدد كبير من أهم علماء اللسان العربي، نقرأ:

أ. كتاب "الفرق بين الضاد والظاء" للصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد (ت 385 هـ) تحقيق محمد حسن آل ياسين.

ب. كتاب "الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفي المشهور من كتاب الله عزّ وجل" لابي عمرو الداني، وهو من أبرع اللسانيين العرب المختصين في الظواهر الصوتية وفي علوم القراءات القرآنية (ت 444 هـ)، والكتاب من تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن. [٥]

ج. كتاب "زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء" لأبي البركات الأنباري (ت 577 هـ) تحقيق رمضان عبد التواب[٦].

د. كتاب "الفرق بين الضاد والظاء" لأبي بكر عبد الله بن علي بن محمد الشيباني الموصلي المتوفى عام (797هـ)" حققه الدكتور حاتم صالح الضامن[٧]

هذا اللفظ الإشكالي بين الضاد والظاء الذي دفع إلى تأليف عشرات الكتب والدراسات المعنية بالقراءات القرآنية أو بالصوتيات العربية، والتي تصب جل جهودها للتفريق بين صوت واحد له رسمان هما الضاد والظاء. فهل هناك وسيلة لحل هذه المشكلة التاريخية؟ وكيف نفهم مقولة بعض المتأخرين من العرب: إن "اللغة العربية لغة الضاد"؟ أهي امتداح للغة بصوت إشكالي، أم أنه ليس لهذا الصوت أية ميزة، وإنما هو محض التباس استعصى على الماضين حل عقدته، فاعتبروه ميزة كالعقدة المسحورة التي يبطل سحرها إذا حلت؟ ثم ما الفرق بين قولنا "لسان عربي" و"لغة عربية"؟

---

[١] يقول الداني: وقد دعاني ما رأيته من حاجة الطّالبين إلى معرفة ذلك، مع غلط كثير من القرّاء وغيرهم فيه، إلى أن أفرد كتابا في الفرق بينهما في كتاب الله، عزّ وجلّ، ص ٣٠.

[٢] يقول الداني، في ذكر "باب ذكر الفرق بين الضّاد والظّاء في المخرج، وحال كلّ واحد منهما": والظّاء مجهورة رخوة مستعلية، فالفرق بينها وبين الضّاد إنّما هو المخرج والاستطالة لا غير، وهي بعد ذلك موافقة لها في الجهر والرّخاوة والإطباق والاستعلاء". ص ٣٣

[٣] النشر في القراءات العشر، الجزري، ج ١، ص ٢١٥.

[٤] ذكر رمضان عبد التواب في مقدمته لكتاب ابي البركات الأنباري 30 مؤلفا للتفريق بين الضاد والظاء، ومن الطريف أن عنوان أحدها هو "الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء" بحيث اعتبر الحرفين سجعا واحدا". راجع الصفحات: 23 إلى 35 من "زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء لأبي البركات الأنباري.

[٥] "الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفي المشهور من كتاب الله عزّ وجل"، أبو عمرو الداني، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق

[٦] "زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء، أبو البركات الأنباري، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، ط 1971.

[٧] "الفرق بين الضاد والظاء" أبو بكر عبد الله بن علي بن محمد الشيباني الموصلي، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ط 1، 2003.

٢. الأصوات اللغوية العربية بين النطق والرسم الإملائي

أ. الأبجدية العربية وحساب الجُمَل

من الطبيعي أن ترسم الابجدية حروفا لكل الأصوات اللغوية الخاصة بلسان ما، إلا أنه ونظرا لاشتراك اللسان العربي مع السرياني[٨] النبطي في أغلب أصواته، فقد تأثرت الأبجدية العربية بنظام الابجديات السالفة مثل الآرامية والسريانية[٩] والعبرية، وفيما تشير أقدم المدونات اللغوية وعلى رأسها كتاب العين[١٠] للخليل بن أحمد الفراهيدي (173 هـ) إلى ارتباط الأبجدية العربية حروفا وترتيبا بالأبجدية السريانية، فإن هذا التأثر لم يكن في ذلك التبني الصوتي بشكل عام، وانما في اعتماد علماء اللغة العرب على عدد محدود من الأحرف، يتوافق مع ما يسمّى بـ"حساب الجُمَل" أو "حساب الجُمَّل" وهو إعطاء كل حرف من حروف الأبجدية (المحددة) قيمة رقمية، كما في الجدول التالي: (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ). [١١]

أ: ١، ب: ٢، ج: ٣ ، د: ٤، هـ: ٥، و: ٦، ز: ٧، ح: ٨، ط: ٩، ي: ١٠، ك: ٢٠، ل: ٣٠، م: ٤٠، ن: ٥٠، س: ٦٠، ع: ٧٠، ف: ٨٠، ص: ٩٠، ق: ١٠٠، ر: ٢٠٠، ش: ٣٠٠، ت: ٤٠٠، ث: ٥٠٠، خ: ٦٠٠، ذ: ٧٠٠، ض: ٨٠٠، ظ: ٩٠٠، غ: ١٠٠٠

حساب الجمّل							
ا	1	ي	10	ق	100	غ	1000
ب	2	ك	20	ر	200	بغ	2000
ج	3	ل	30	ش	300	جغ	3000
د	4	م	40	ت	400	دغ	4000
هـ	5	ن	50	ث	500	هغ	5000
و	6	س	60	خ	600	وغ	6000
ز	7	ع	70	ذ	700	زغ	7000
ح	8	ف	80	ض	800	حغ	8000
ط	9	ص	90	ظ	900	طغ	9000

وبهذه الطريقة يعمل المنجمون لمعرفة الطالع والأبراج[١٢]، ويستعملها الشعراء في التأريخ للمناسبات، مثل تاريخ بناء مسجد، أو ميلاد طفل، أو وفاة إنسان. فهذا الشاعر، مثلا، يرثي صديقه "الدلنجاوي"[١٣] مؤرخا لوفاته بطريقة حساب الجمل:

"سألتُ الشعر هل لك من صديقٍ وقد سكن الدلنجاويُّ لحدَهْ

فصاح وخرَّ مغشياً عليه وأصبح راقداً في القبر عندَهْ"[١٤]

فقلتُ لمن يقولُ الشعر أقْصِدْ! لقد أرّختُ: "مات الشعرُ بعده"

وجريا على عادتهم في حساب الجمل أن يحسبوا أرقام الكلمات أو الجمل بعد كلمة "أرّخ، أرختُ، أرخوا" ومثيلاتها. فجملة "مات الشعر بعده" والتي وردت بعد كلمة (أرّختُ) تشير إلى تاريخ وفاة الشاعر الدلنجاوي:

---

[٨] نظريات في اللغة، أنيس فريحة، ص ٧٥، ص ٩٠، ٩١، ٩٣.

[٩] اللغة السريانية الأصول والقراءة، فولوس غبريال و كميل أفرام البستاني، 1964، منشورات الجامعة اللبنانية، مطبعة الكريَم ص ٣، ٤.

[١٠] جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: "الضّاد مع الصّاد معقوم، لم تَدْخُلا معاً في كَلِمةٍ من كلام العَرَبِ إلاّ في كلمة وضُعِت مثالاً لبعض حسِاب الجُمل، وهي صعفض هكذا تأسيسها، وبيانُ ذلك أنَّها تُفَسَّر في الحسابِ على أنّ الضادَ ستّون، والعينَ سبعون، والفاء ثمانون والضّاد تسعون، فلما قَبُحَتْ في اللّفظ، حُوِّلت الضّاد الى الصّاد فقيل :صعفص" راجع: كتاب العين ج ٧، ص ٥.

[١١] بديعة البيان عن موت الأعيان، ابن ناصر الدين الدمشقي، ص ٣٥.

[١٢] يراجع " أسرار الحروف وحساب الجمل" ماجستير طارق القحطاني، ص ١٦٠.

[١٣] أحمد الدلنجاوي :شاعر وقته في مصر. مات في القاهرة، وأرخه الشبراوي بأبيات جاء الشطر الأخير منها: "فقد أرخت: مات الشعر بعده" له ديوان صغير، كتاب الأعلام، خير الدين الزركلي، ج ١، ص ٢٤.

[١٤] في الأدب العربي، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠م. ج ١، ص ١٦.

٤٠ + ١ + ٤٠٠ + ١ + ٣٠ + ٣٠٠ + ٧٠ + ٢٠٠ + ٢ + ٧٠ + ٤ + ٥= ١١٢٣، وهذا هو تاريخ وفاة الدلنجاويّ، أي عام ١١٢٣ هجري. [١٥]

ب. ما عدد الأصوات العربية؟

الأصوات العربية أوسع مدى من سائر الأصوات الأعجمية، ومن المعروف أن اتساع مدى الأصوات، ومن ثم شمول الألفبائية العدد الكافي من الحروف لتغطية كامل الأصوات المنطوقة يعد ميزة كبيرة في التفريق بين الألفاظ، وفي تحديد المعاني، وفي وضوح المقاصد اللغوية. وقد لا يعرف الجيل الجديد من دراسي اللسان العربي أن العدد الحقيقي للأصوات العربية يتجاوز (٤٢) صوتا، فهذا الكتاب المنسوب لسيبويه (كتاب سيبويه) يشير إلى أن الحروف العربية التسعة والعشرين التي تحصيها الأبجدية ما هي إلا الحروف التي كتب بها القرآن الكريم، فيقول في "الكتاب" متحدثا عن الأصوات التي يتكلم بها العرب آنذاك (أي خارج نطاق الرسم القرآني):

"وتكون [الحروف العربية] (٣٥) خمسةً وثلاثين حرفا بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي :النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالةً شديدة، والشين التي كالجيم، [يقصد صوت ژ، كما في عين ژالة[١٦]] والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم، يعنى بلغة أهل الحجاز، في قولهم :الصلاة والزكاة والحياة .

وتكون (٤٢) اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرةٍ في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر؛ وهي :الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف [يعني صوت گ كما في بابا گرگر][١٧]، والجيم التي كالشين [يعني صوت چ كما في چمچمال][١٨]، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء [يعني صوت پ كما في قره تپة][١٩]. ومنها قولهم أصبهان، وأصفهان.

وهذه الحروف التي تتمّتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة"[٢٠]

لكن النحويين اختاروا من هذه الأحرف الاثنين وأربعين، ثمانية وعشرين حرفا فقط، لتتناسب مع حساب الجمل الذي اعتمدوه، لأنهم إذا أضافوا أي حرف من الحروف التي تزيد على ٢٨ اختل نظام حساب الجُمَّل. ثم إنهم لم يرسموا حروف هجاء لتلك الأحرف التي زادت على ٢٨ فأهملوا صوت الچاء (بين الجيم والشين) وقد نزل به القرآن الكريم "قد جعل ربچ تحتچ سريا"[٢١]. ومن المؤسف ان عدم رسم حروف هجاء لما زاد على الأبجدية، جعل الناس يظنون أن تلك الأصوات معيبة وخارجة عن الفصاحة، بل أنها أصوات غير فصيحة؛ فالفصيح عندهم مكتوب، وغير الفصيح (العامي) هو المحكي المنطوق.

٣. الضاد والظاء، الصوت والإملاء

أ. الظاء والضاد: مستويين صوتيين لحرف واحد

يظهر من خلال مراجعة ما كتبه علماء اللغة العرب أن الأبجدية العربية كان ينقصها حرف واحد ليكتمل به حساب الجُمَّل. فتقرر أن يكون لصوت الظاء الخفيفة (المرققة) اسم مختلف عن الظاء الثقيلة (المفخمة)، فتقرر رسم الظاء الثقيلة نظيرة الطاء (ط) في الرسم بإضافة نقطة فوقها (ظ)، وتقرر رسم الظاء الخفيفة (الضاد) نظيرة الصاد (ص) في الرسم بإضافة نقطة فوقها (ض). وبهذا اكتمل عدد الأصوات المعترف بها رسميا، واكتملت الحروف الفصيحة للأبجدية العربية: أ- ١، ب- ٢، ج- ٣، د- ٤، هـ- ٥، و- ٦، ز- ٧، ح- ٨، ط- ٩، ي- ١٠، ك- ٢٠، ل- ٣٠، م- ٤٠، ن- ٥٠، س- ٦٠، ع- ٧٠، ف- ٨٠، ص- ٩٠، ق- ١٠٠، ر- ٢٠٠، ش- ٣٠٠، ت- ٤٠٠، ث- ٥٠٠، خ- ٦٠٠، ذ- ٧٠٠، ض- ٨٠٠، ظ- ٩٠٠، غ- ١٠٠٠.

وحين اكتمل العدد المطلوب لحساب الجمل ٢٨ حرفا، برسم حرف ثانٍ للظاء على شكل ضاد، نشأت مشكلة "عويصة" جديدة؛ ليست في رسم أي من الصوتين، وحسب، بل في تمييز الصوت الملفوظ أيهما ظاء وأيهما ضاد. وبخاصة أنها "لا تتبين إلا بالمشافهة". ولهذا قال الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) متحدثا عن اضطراب الناس في التمييز بين صوت الظاء والضاد: "قد اعتاص معرفتهما على عامّة الكتّاب، لتقارب أجناسهما في المسامع، وأشكال أصل تأسيس كل منهما، والتباس حقيقة كتابتهما"[٢٢].

---

[١٥] من أهم الأبحاث المختصة بعلم الحروف، رسالة الماجستير المعنونة: "أسرار الحروف وحساب الجمّل" للطالب طارق بن سعيد القحطاني، إشراف الدكتور محمد يسري جعفر، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩م.

[١٦] مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد ٣٠، بتاريخ ١ مارس، ١٩٧٩، ص ٢٤٥. (خلاصة أعمال لجنة الأصول في سنتها السادسة ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨.

[١٧] المصدر نفسه.

[١٨] المصدر نفسه.

[١٩] المصدر نفسه.

[٢٠] معجم العين، للفراهيدي، ج ٤، ٤٣٢.

[٢١] المعجم العربي الجديد، المقدمة، هادي العلوي، ص ٢٣.

[٢٢] الفرق بين الضاد والظاء، الصاحب ابن عباد، ص ٣

وللتفريق بين هذا الصوت في حالتيه الثقيلة والخفيفة، فقد اهتدى أبو عمرو الداني إلى طريقة بسيطة للتفريق بينهما، وهي إحصاء الظاءات في كتاب واحد، فيقول: "فإني اختصرت في هذا الجزء ورود حرف الظاء في كتاب الله تعالى، وحصرته في أصول تسهل على الطالب، ويقرب حفظها على القارئ الدائب، ويعرف أن ما عدا ما نذكره من ذلك هو من حروف الضاد"[٢٣]

ب. حرفان بوحدة مخارج

إذن الضاد والظاء حرفان لصوت واحد[٢٤]، صيرهما النحاة حرفين لأجل اكتمال حساب الجُمَّل (28 حرفا)، فكانت تبعات قرار الفصل بينهما أشد على الناس من اعتبارهما صوتا واحدا، والسؤال الآن هو كيف يلفظ هذا الحرفان، وما هي مخارج هذين الحرفين؟ وما داما متشابهين إلى درجة التطابق العويص، فإن معرفة مخرج لفظ واحد من الحرفين سيفضي إلى معرفة لفظ الآخر نظرا لتشابه مخرجيهما، وفي هذا يقول أبو عمر الداني في باب "الفرق بين الضّاد والظّاء في المخرج، وحال كلّ واحد منهما": "إعلم، نفعنا الله وإيّاك، أنّ الضّاد مخرجها من حافة اللّسان، من أقصاها إلى ما يلي الأضراس. فمن النّاس من يخرجها من الجانب الأيمن، وهو الأقلّ. ومن النّاس من يخرجها من الجانب الأيسر، وهو الأكثر. ومخرجها كمخرجها من هذا سواء. ليس يخرج من موضعها غيرها، إلّا أنّ اللّام تخرج من حافة اللّسان، من أدناها إلى ما يلي الثنايا" والضاد "أيضا مطبقة مستعلية، لأنّ اللّسان ينطبق بها على الحنك، ويعلو إلى جبهته.[٢٥]. وهذا يعني إنها تشارك حرف اللام في أمرين في كونه صوت أسناني، وكونه صوت مستطيل، أي صوت متفشٍ غير انفجاري، تستطيع إطالة لفظه.

ويتابع الداني واصفا صوت الظاء بقوله: " وأمّا الظّاء فمخرجها ما بين طرف اللّسان وأطراف الثّنايا العليا، خارجا طرفه قليلا. ويخرج معها من ذلك الموضع الذّال والثّاء"[٢٦] ومع ذلك فالتفريق بين الحرفين عصي صعب لأن "الظّاء مجهورة رخوة مستعلية، فالفرق بينها وبين الضّاد إنّما هو المخرج والاستطالة لا غير، وهي بعد ذلك موافقة لها في الجهر والرّخاوة والإطباق والاستعلاء".

نلاحظ مما سبق أن الفرق بين صوتي الظاء والضاد عند الأقدمين يكاد يكون معدوماً، لقول الداني أن الفرق بينهما يكون في "المخرج والاستطالة"، مادام "المخرج" غير محدد إلا بغيره (تحديد مخرج الضاد باللام، ومخرج الظاء بالثاء، والذال) وما دام الصوتان كلاهما "مستطيل". ومن الضروري استعادة ما ورد في كتاب سيبويه، باعتبار أن الحديث عن الصوت لن يجدي إلا بسماعه مشافهة " وهذه الحروف التي تتمّتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة"[٢٧]

٤. اللفظ المعاصر للظاء والضاد

أ. الجغرافيا الصوتية في العالم العربي

إن الجزيرة العربية والعراق وهما مهد اللسان العربي بجميع اللغات العربية بشقيها؛ "الأعرابي" و"النبطي" أو "البدوي" والحضري" ما تزال هذه الجغرافيا تحتفظ بلفظ الظاء والضاد كما هما لهذا العصر. وتشير الدراسات الحديثة والمعاصرة، ومن أبرزها ما قام به الدكتور كمال بشر في كتابه "علم الأصوات"[٢٨] ، حيث درس الكثير من ظواهر اللسان العربي، وبخاصة القضايا الإشكالية، ومنها التفريق بين الظاء والضاد، وقضية اعتبار "العربية لغة الضاد". والكتاب يشير بوضوح إلى "إن الخلط بين الضاد والظاء على وجه الخصوص كان (وما يزال) أعمق وأشد تعقيدا وأوسع انتشارا. ولم يقتصر الخلط بين الصوتين على النطق، بل امتد أثره إلى الكتابة، الأمر الذي دعا بعض الدارسين إلى تقديم بحوث، بل كتب مستقلة لمعالجة قضية الخلط هذه، بمحاولة وضع الفروق الفاصلة بين الصوتين[٢٩].

ونظرا لاتساع رقعة الناطقين باللسان العربي وخروج العرب مهاجرين إلى مناطق لم تكن تألف العربية مثل شمال مصر، ولبنان، فقد بقي سكان تلك المناطق عاجزين عن لفظ عدد من الحروف العربية، وبخاصة في مصر، فهم يلفظون القاف لفظهم للهمزة (الالف)، ويلفظون الثاء تاء مرة، وسيناً مرة أخرى، ويلفظون الجيم كما يلفظها العبرانيون والأنباط، أي قافا يمنية (گ g). والمصريون أيضا يلفظون الصاد سينا، والطاء تاء، والظاء والضاد زاياً مفخمة[٣٠].

ومع لحن المصريين القاهريين في لفظهم الضاد زاياً مفخمة كأختها الظاء، إلا أن الشائع بينهم (أيضا) هو إخراج الضاد من مخرج قريب من مخرج الدال تسهيلا للفظها، وإن كان مخالفا للفظها العربي الأصيل والموجود في العراق وبلدان الخليج واليمن، بل ومعظم البلدان العربية، "فالضاد الحالية تخرج من منطقة التاء

---

[٢٣] الظاءات في القرآن الكريم، الداني، ص ٢٣

[٢٤] يورد كمال بشر في كتابه "علم الأصوات" مقولة أن الظاء والضاد يعبران عن صوات واحد، راجع الصفحات ٢٦٤ ـ ٢٦٧.

[٢٥] الفرق بين الضاد والظاء، الداني، ص ٣٢.

[٢٦] الفرق، الداني، نفسه، ص ٣٣

[٢٧] معجم العين، للفراهيدي، ج ٤، ٤٣٢.

[٢٨] علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠.

[٢٩] علم الأصوات، كمال بشر، ص ٢٦٤.

[٣٠] في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٨، ١٩٩٢. ص ٢٢٨.

والدال والطاء"[٣١]. ويشرح كمال بشر كيف أن النطق المصري الحالي للضاد يختلف عما ذكره علماء العربية في أمرين أساسيين، أولهما موضع النطق، وثانيهما كيفية مرور الهواء عند النطق".[٣٢]

ب. الضاد القاهرية صوت مولَّد

يتبين مما سبق أن الظاء والضاد احتفظتا بلفظهما القديم في المناطق التي كانت محلا أصيلا لهما، أي العراق والخليج والجزيرة واليمن ومناطق بلاد الشام المحاذية للعراق، إلا أن المناطق التي دخلت تحت سلطان اللسان العربي والممالك العربية في مصر خاصة، والقاهرة بالتحديد، بقي السكان على عاداتهم الصوتية، في إخراج الظاء والضاد من المخرج الخطأ (أي الزاي المفخمة). ونظرا لحمل مصر لواء "القومية العربية " خلال فترة حكم جمال عبد الناصر منذ عام 1952، فقد روّج البعض لمقولة هي أن "اللغة العربية لغة الضاد"، وأن النبي محمد (ص) قال: "أنا خير من نطق بالضاد" ولهذا يرى كمال بشر أن علماء اللسان العربي كانوا يتكلمون عن "ضاد" غير الضاد الحالية في جمهورية مصر العربية[٣٣]. أما المستشرق يوهان فوك فيرى أن اللفظ المصري المستحدث للضاد، إنما هو موروث "قبطي" قديم، موضحا بقوله: "وهذا كما يبدو من بقايا اللفظ القبطي في مصر التي كانت القبطية هي اللغة التي اصطدمت بها العربية. وقد بقيت لغة الفاتحين هنا أيضا كما في العراق . مقصورة بادئ ذي بدء على المعسكرات كالفسطاط قبل كل شيء، وعلى المناطق التي اختارتها القبائل العربية.[٣٤]، فقد "بقيت اللغة اليونانية بادئ الرأي هي اللغة الرسمية. ولم تدخل العربية في دوائر الإدارة إلا في سنة ٨٧ هـ.[٣٥]

يبدو عجز المصريين اليوم (القاهرة تحديدا) في لفظ الظاء والضاد والذال، ويخرجونها جميعا من مخرج الزاي (لذيذ . لزيز، محظوظ . محزوز، ضابط . زابط، بزاي مفخمة) مما يفسر قول سيبويه "لولا الإطباق [اطباق اللسان على سقف اللهاة] لصارت الظاء ذالا"[٣٦] وهو ما يفسر جر الضاد إلى مخرج أيسر على المصريين لصعوبة لفظ الظاء والذال عندهم وبخاصة سكان القاهرة.

وينبّه كمال بشر إلى قول بعض المستشرقين المحدثين في وصف صوت الضاد بالحرف الانفجاري، المشابه لصوت الدال، بأن المقصود به ليس الضاد القديمة التي ما تزال تلفظ مثل الظاء في بعض لهجات البلاد العربية كالعراق والكويت[٣٧]، وإنما المقصود به **"الضاد المولّدة"** التي تشبه "نطق المصريين الآن". [٣٨] فتأكد أن الضاد القاهرية، ليست من الضاد العربية في شيء، إلا في رسمها.

٥. الضاد المولَّدة المعاصرة في مصر[٣٩]

أ. اللحن القاهري وهيمنته على مصر

المعروف أن لسان أهل القاهرة هو أبعد الألسن المصرية عن اللفظ العربي، وأن اللحن الفاحش في اللفظ العربي يبدو في أوضح صوره في لفظ القاهرة للأصوات العربية، وأدناه مسرد باللحن القاهري في لفظ الأصوات العربية بشكل عام [٤٠]:

١. اللحن في لفظ الألف (الهمزة) والقاف، فهم يلفظون القاف ألفا، لفظ "اسم" في "قسم".
٢. إمالة الألف وسط الكلمة إلى درجة لفظها ياء "عادل" تلفظ "عيدل". والإمالة عادة في الألف النهائية، كلفظنا سوريا: سورية وأوربا: أوروبة (أشار إليه سيبويه بقوله: " والألف التي تمال إمالةً شديدة".
٣. اللحن في استعمالهم الجيم العبرية، والنبطية القديمة أي لفظها قافا يمنية، فالجيم (ج: J) عندهم قاف يمينة (گ: g) فهم يلفظون "جبر"jabr "قبر" أي gabr، ولضياع القاف العربية عندهم حوّلوا القاف إلى الألف (الهمزة) "قَمَر": تلفظ "أمَر". (مثل القمر – تلفظ مثل الأمَر).
٤. اللحن في لفظ صوت الثاء (ث)، مرة كلفظ التاء العربية "ثبات: تبات"، ومرة كلفظ السين العربية "مثقف: مُسنِّف".
٥. اللحن في لفظ الذال "ذ". فهم يلفظونها دالا "د" مرة "ذيب: ديب"، وزايا أخرى "عذر: عزر".

---

[٣١] علم الأصوات، ص ٢٥٢.
[٣٢] المصدر نفسه، ٢٥٤.
[٣٣] نفسه، ص ٢٥٥.
[٣٤] العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فوك، ص ٢١.
[٣٥] المصدر نفسه.
[٣٦] كتاب سيبويه، ج ٤، ص ٤٣٦.
[٣٧] علم الأصوات، المصدر السابق ص ٢٥٨.
[٣٨] نفسه، ص ٢٥٩.
[٣٩] كتاب العين، ج ١، ص ٥٢، و اللحن هو إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية. وهذا عندنا من الكلام المولَّد، لأنّ اللحن محدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة. "وهو يقرأ بالألحان؛ وذلك أنّه إذا قرأ كذلك أزال الشيء عن جهته الصحيحة بالزيادة والنقصان في ترنمه" المقاييس، ابن فارس، ج ٥، ص ٢٣٩.
[٤٠] أمثلة عن اللفظ المصري (القاهري تحديدا) يمكن مراجعتها في كتاب "علم الأصوات" لكمال بشر لا سيما في الصفحتين ٣٣٦، ٣٣٧. مع أن أفضل مادة للدراسة اللسانية الميدانية هي الأفلام والمسلسلات والأغاني باللغة المصرية المحكية.

٦. اللحن في لفظ الضاد "ض" فهم يلفظونها دالاً "د" مرة، وزاياً مرة أخرى، وإذا أحسنوا أخرجوها من كونها هشة إلى انفجارية مقاربة لمخرج الدال، كما سلف ذكره. "رمض: رمد".

٧. اللحن في لفظ الظاء العربية الأصيلة، إذ يلفظونها زاياً مفخمة، كما سلف.

٨. اللحن في لفظ الحاء هاءً، تماما مثل اللحن الفارسي الذي عرف به عبيد الله بن زياد " أهروري: أحروري". [٤١] فهم يقولون "حَ نروح : أي سنذهب: هنروح".

٩. بالإضافة إلى أنهم يغيّرون نطق الأصوات الطويلة مثل الواو، يَوم: يُوْم ، وبَيت: بِيْت [٤٢] ويسقطون الألف في ألفاظ مثل "الكارثة" يلفظونها "كرسة"، والشاطرة "الشطرة".

وهناك ظواهر لسانية أخرى، يخالف فيها المصريون السليقة العربية، منها ما هو تركيبي في تقديم في المستفهم منه على أداة الاستفهام: "اسمك أيه؟"، بدلا من "أيش اسمك؟". ومنها ما هو صرفي في إبدال نون الفعل المبني للمجهول "انفعل: انكسر" إلى تاء "اتفعل: اتكسر". وغيرها من الظواهر التي لا مجال للحديث عنها هنا.

ومع أن الأقلية من المصريين يقعون في هذا اللحن، إلا أن تبني القاهرة لهذا اللحن في الأفلام والمسلسلات، والأغاني والمسرحيات، وفي وسائل التواصل الاجتماعي مؤخرا، فرض هيمنته على سائر المناطق المصرية، بل وعلى كثير من متعلمي اللسان العربي، وجعل كثيرا من المصريين يستنون بهذه السنة اللسانية المشوهة في اللحن في لفظ أصوات اللسان العربي.

ب. أثر اللحن على الإملاء العربي

يبدو من خلال المصادر الإملائية العربية أو مقابلها باللغة الإنكليزية أن المصريين قبلوا بالضاد القاهرية (الملحونة المولدة، القبطية) التي لا تشبه لها بالضاد العربية الأصلية[٤٣]، حيث إن الضاد عند العرب القدامى [والمعاصرين أيضا] ليست شديدة أي ليست [فيها] وقفة انفجارية، وإنما هي رخوة أي احتكاكية بالتعبير الحديث. وهم . لهذا السبب . لم يذكروها ضمن أصوات "أجدت طبقك"؛ وهي الأصوات الشديدة في نظرهم.[٤٤] وقد أدى قبول المعاهد العلمية بهذا اللحن القاهري، وسكوت المجامع اللغوية عن هذا اللحن إلى اعتماده في الألفباء الصوتية الدولية، أو ما يسمى "الكتابة الصوتية الدولية" International Phonetic Alphabet IPA وأنهم أدخلوها ضمن الحروف الانفجارية (Plosive) هذا يدلل على أن القول بان اللغة العربية هي لغة الضاد، يعني أنها لغة الضاد القديمة التي لا تمييزَ واضحا بينها وبين الظاء، في موضع اللفظ، وفي مخرج الحرف، فهي لثوية حنكية لا أسنانية لثوية، كما يشير إلى ذلك كتاب سيبويه وتبعه ابن جني[٤٥].

ولأن الكتابة الصوتية الدولية IPA يفترض أن تكون أكثر وضوحا في الأداء الصوتي، ومصداقية في الدلالة، لاعتماد الباحثين من غير العرب عليها، في استبيان ما لا ينقله الرسم العربي للصوت، فإن من الخطأ، بل الانحراف الأكاديمي أن نحرف صوت الظاء عن أصله، ونرسم معادله الإملائي كما يلفظه القاهريون زايا مفخمة (Ẓāʾ) وهو أمر فيه تجاوز كبير للحدود العلمية أولا، وللحدود الأخلاقية للبحث والمنهج العلمي، لانها يمس هوية اللسان العربي لا مجرد لحن شخصي عابر. وخاصة أن علماء اللسان العربي من المصريين أنفسهم يشيرون إلى أنه جوهر هوية اللسان العربي بقولهم: "وليس أمامنا من توضيح لنطق الصوت أكثر من القول: لعلها كانت تشبه ذلك الصوت الذي هو وسط بين الضاد والظاء في بعض لهجات البلاد العربية كالعراق والكويت"[٤٦]. وهذا ما تم تدوينه قبل التشويه الصوتي والإملائي، أي كتابة اسمي الرياض، وأبو ظبي بالرسم الدال على اللفظ العربي الأصيل لهما (Ḍh) أي Riyaḍh و Abu Ḍhabi، أي قبل تحريف الكتابة الصوتية الدولية، واستبدال (Dhā) ب (Ẓāʾ) لرسم (ظ).

لقد تنازلت المؤسسات المعنية باللسان العربي وبخاصة في مصر عن الصوت المميز للسان العرب أي صوت الظاء (Ḍhā) وصارت ترسمه زايا مفخمة كلفظه الملحون، (Ẓāʾ)، ثم تمادت أكثر في احتقارها لهذا الصوت، فصارت تكتب اسم نجيب محفوظ (Naguib Mahfouz) أي لفظ الجيم قافا يمنية، بدلا من كتابته (Najīb Mahfūḍh) وتكتب اسم جمال (Gamal) وليس (Jamal) وهو ما يدعو إلى إعادة النظر في تسليم مقدرات هوية وتعليم لساننا العربي لمجموعة لا تستثار همتها العلمية لإصلاح هذا اللحن، ووقف هذا التشوه لهوية لساننا العربي.

---

[٤١] البيان والتبيين، الجاحظ، مشيرا إلى اللحن: "ومنهم عبيد الله بن زياد والي العراق، قال لهانئ بن قبيصة: أهرري سائر اليوم! يريد أحروري. ج ١، ص ٧٩.

[٤٢] علم الأصوات، كمال بشر، ص ٦٣٨.

[٤٣] علم الأصوات، المصدر السابق، ص ٢٥٩.

[٤٤] نفسه، ص ٢٥٦.

[٤٥] المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

[٤٦] المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

هـ. العزّة باللحن، وأسطورة لغة الضاد

كان الأوائل من النحاة يحتجون بأن هدف القواعد النحوية الصارمة هو منع الناطقين باللسان العربي من الوقوع في اللحن، إلا أن ما نلاحظه اليوم هو عجز العرب عن صيانة لسانهم العربي، إلى درجة صاروا يفتخرون بفساد لسانهم بدلا من محاولات إصلاحه. فبعد أن تم تشويه لفظ الظاء العربي (ظ) بتحويله أمام العالم أجمع وعن طريق الكتابة الصوتية الدولية IPA، ورسمه زايا مفخمة (Ẕāʾ) وحرّفوا لفظ أخيه الضاد (ض) بلفظه كصوت انفجاري من مخرج الدال (د) Ḍhād عملوا على تثبيت تلك التشوهات، واعتمادها في الكتابة الصوتية الدولية، IPA ثم راحوا يروجون إلى مقولة إن "اللغة العربية لغة الضاد" ويقصدون بها "الضاد المصرية القبطية"، أي الصوت الموروث من القبطية ولا علاقة له باللسان العربي القديم ولا الحديث ولا المعاصر، فإن العرب حتى يومنا هذا لا يزالون يلفظون الحرفين بصوت واحد يصعب الفصل بين مستوييه المرقق (ض) والمفخم (ظ)، كما في الأغلب الأعم من بلداننا العربية[٤٧]. إلا أن دوافع عنصرية شعوبية استعلائية، كما يراها إبراهيم أنيس[٤٨] هي التي أعادت مقولة إن "العربية لغة الضاد"، وإن النفس الشعوبي الاستعلائي هو الذي دفع إلى هذه التسمية التي لا تعبر عن واقع[٤٩]. ويبدو أن بعض المتعرّبين العاجزين عن لفظ الظاء والضاد كما يلفظها العرب، هم المستفيدون من هذه المقولة، لأنهم بتحريف لفظ الصوت العربي الأصيل إلى الضاد المولّدة المخالفة التي يقدرون على لفظها بطريقتهم، سيكونون مشمولين بهذه المقولة على أنهم عرب. لكن نتيجة هذا التحريف كارثية، لأنهم بهذه المقولة يُكرهون متعلمي العربي على أن يلفظوا الضاد كحرف انفجاري لا كحرف هش، وهذا تجهيل غير مقبول، أي إدخال صوت الضاد (ض) ضمن أصوات "أجدت طبقك"، وهو فعل يمس هوية اللسان العربي في جوهرها.

٦. اللسان العربي جامع طبيعي للغات العرب

أ. الفرق بين اللسان واللغة

يتكوّن كل لسان (Language) من لغات محلية، تسمى من منظار الجغرافيا اللسانية (Dialects) ومن منظار ثقافي أنثروبولوجي (vernaculars)[٥٠]، واللسان العربي بدوره، وكما ورد ذكره في القرآن الكريم، مكوّن من لغات محلية أطلق عليها "لغات العرب"، وهي مرة لغات القبائل العربية، كلغة قريش، ولغة تميم، ولغة حِمْيَر، ومرة لغات الحواضر العربية كلغة بصرية، ولغة كوفية، ولغة شاميّة، كما يشير لها الجاحظ[٥١]، وأخرى لغات الأمصار، كما يسميها ابن خلدون[٥٢]. وعلى هذا ينبغي تعريف اللغة على أنها: "مجموعة الصفات اللغوية، التي تنتمي إلى بيئة خاصة، أو استعمال خاص في بيئة معيّنة[٥٣]. ولهذا ألف الفراء كتابه "لغات القرآن" ليفصل القول في لغات العرب التي استعملت ضمن لسان القرآن. ومثله كتاب ابن حسنون "اللغات في القرآن" الذي ردّ فيه آيات القرآن إلى لغات العرب كل بحسبه. وعلى هذا فاللسان: هو عامة اللغات العربية، بما تشتمل عليه من خصائص لغوية مختلفة للقبائل العربية المنتشرة في أنحاء الجزيرة العربية" [٥٤] وهو مجموع لغات الأمصار العربية بتعبير ابن خلدون[٥٥].

واللسان العربي هو ما جاء في القرآن الكريم بقوله: "وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ"[٥٦] وقوله: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ، لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ"[٥٧] وكذلك قوله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ"[٥٨] فاللسان العربي، إذن، هو اللسان الذي جاء به القرآن الكريم، وهو الجامع للغات العرب المحكية كلها، أي اللغات العربية، التي لا يمكن اختصارها بلغة واحدة مهما كانت، ولا حتى بدعوى أنها اللغة الأفصح من غيرها (الفصحى).

---

[٤٧] علم الأصوات، ص ٢٥٤.
[٤٨] اللغة بين القومية والعالمية، إبراهيم أنيس، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠، ص ١٩٧.
[٤٩] علم الأصوات، ص ٢٧٠.
[٥٠] المحلية العربية، ناصر الحجاج، ديوان محافظة البصرة، بصرياثا، ٢٠٢٤.
[٥١] البيان والتبيين، الجاحظ، ج ١، ص ١٦.
[٥٢] المقدمة، ابن خلدون، ج ١، ص ٤٧٤.
[٥٣] أطلس لغات طي، تركستاني، ص ٨.
[٥٤] أطلس لغات طي، محمد يعقوب تركستاني اشراف خليل عساكر، ص ٧
[٥٥] للتمييز بين اللسان واللغة يقول ابن خلدون: " اعلم أنّ لغات أهل الأمصار إنّما تكون بلسان الأمّة أو الجيل الغالبين عليها أو المختطّين لها ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلاميّة كلّها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربيّة وإن كان اللّسان العربيّ المضريّ قد فسدت ملكته وتغيّر إعرابه" ج ١، ص ٤٧٤.
[٥٦] القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآيات من ٩٢ إلى ٩٥.
[٥٧] القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ١٠٣.
[٥٨] القرآن الكريم، سورة الروم، الآية ٢٢.

فحين يقول قائل إن القرآن نزل بلسان عربي، فهو يقصد أنه اشتمل على الظواهر والأساليب التعبيرية التي تحويها لغاته العربية المختلفة، ولهذا ترى أن في مفردة معينة وجهين او أكثر، وهذا مرده إلى وجود لغتين (أو أكثر) تستعملان لفظين مختلفتين والمعنى واحد، كقولهم: "تعال، أو هلمّ إليّ، أو أقبل".[٥٩]

أما كلمة "لهجة" فلم تأتِ بمعنى "لغة" إلا في وقت متأخر من مطلع القرن العشرين، ولعله جاء من بعض المستشرقين، الذين بذلوا جهودا كبير في فهم اللسان العربي، وآدابه، إلا أنه "لهجة" مصطلح محرّف يثير التباسا كبيرا يضاف إلى التباس مصطلح "لسان" بمصطلح "لغة"، ولهذا فمن الأفضل تجنب استخدام كلمة "لهجة" للتدليل على اللغة المحلية، فاللهجة هي طريقة الإنسان وأسلوبه في الكلام والتعبير، وقد ورد في الحديث الشريف: " «مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مِثْلِ عِيسَى فِي الزُّهْدِ فَلْيَنْظُرْ لأَبِي ذَرٍّ»[٦٠].

بعد تحديد الفرق بين اللسان Language، واللغة Dialect ، وتحديد المعنى العلمي للسان العربي وللغاته المتنوعة التي تسهم في إغنائه، سيكون استعمال كلمة "لهجة" مقبولا إذا كان المقصود بها اللغات الفرعية تحت مستوى اللغة المحلية، فيمكن أن يقال لهجة القاهرة أو لهجة بغداد، باعتبار أن لهجة أي مدينة أو إقليم ضمن أحد البلدان (الأمصار) ما هي تنوع لغوي ضمن اللغة المحلية للبلد.

ب. العودة للسان القرآن، لسان الظاء

لم يعرف العرب قديما شيئا مما نسميه اليوم "اللغة العربية الفصحى"، ولم يفضّلوا لغة من لغاتهم بعينها، على غيرها، وإنما جاءت مقولة أن "قريش أفصح العرب" من قصة عن إحدى جلسات معاوية بن ابي سفيان، أواسط القرن السابع للميلاد، وقد حكى "الأصمعي" أن "معاوية" قال ذات يوم لجلسائه: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السماط، فقال: قوم تباعدوا عن عنعنة "تميم" وتلتلة "بهراء" وكشكشة "ربيعة" وكسكسة "بكر" ليس غمغمة "قضاعة" ولا طمطمانية "حمير" فقال: من أولئك؟ قال: قومك يا أمير المؤمنين"[٦١] وتلت هذه المقولة مقولات أخرى، منها؛ أن أفصح العرب ليست قريش، بل "الأعراب" والبدو الذين لم يعرفوا الحضارة، ولم تفسد ألسنتهم بالاحتكاك بالأعاجم. إلى أن جاء الكتاب المنسوب لسيبويه، في القرن الثامن للميلاد، فغير مسار النظر إلى اللسان العربي ولغاته العربية، فصار قانون "علامات الإعراب" في أواخر الكلمات هو المعيار للفصاحة وللبيان والتبيين.

ثم جاء ابن جني في القرن العاشر للميلاد، فأعاد الأمور إلى نصابها، بانتهاج نهج النبي (في الأحرف السبعة) وفي قبول مختلف لغات العرب تحت مظلة اللسان العربي، بلا تمييز بينها، وهو القائل " وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغةٍ من اللغات العربية مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه"[٦٢] وهذه المقولة تعيد الاعتبار إلى اللسان العربي، من خلال قبول لغاته، ولهجاته، واحترام التعابير الخاصة والشعبية المحلية، وإن أعدتها النخبة لغات أقل فصاحة.

ونحن إذا عرفنا أن الفروقات التي في لغات الأقطار العربية اليوم ما هي إلا تنوعات ثرية ضمن اللسان العربي، فإن من الخير أن نعترف بأن اللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم، بكل تنوعاته اللغوية المحلية (Vernacular languages)، ما يزال حيا، ذا فاعلية وقابليات عظيمة، تؤهله لأنه يكون قادرا على مواكبة كل التغيرات والتطورات العالمية والكونية، أدبية كانت أو علمية أو فلسفية وفي مختلف المجالات. هذا اللسان هو مجموع لغاتنا العربية المعاصرة، التي يكون مجموعها (كلها شافي كافي). وإنه ليس على اللسانيين العرب اليوم إلا استقراء الأطلس اللغوي العربي بكل خرائطه اللغوية لمعرفة قوانينه التي لا تستند دائما إلى أواخر الكلمات، وهذا هو منهج ابن خلدون إذ يقول: " ولعلّنا لو اعتنينا بهذا اللّسان العربيّ لهذا العهد واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الإعرابيّة في دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه تكون بها قوانين تخصّها. ولعلّها تكون في أواخره على غير المنهاج الأوّل"[٦٣] وبالعمل بمنهج ابن خلدون سنفتح باب الأبحاث الميدانية لمعرفة خواص لساننا العربي الذي هجرناه إلى لغة نظن أنها هي الأفصح، فيما الفصاحة في "مراعاة مقتضى الحال"[٦٤].

ج. تفرّد اللسان العربي بحرف الظاء

تبيّن مما سبق أن بعض المتعرّبين صاروا يلحنون في نطقهم الضاد بطريقة حولت هذا الصوت الاحتكاكي (fricative) إلى صوت انفجاري (plosive)، بما يعني أن الحديث عن الضاد التي يقصدونها يعني الحديث عن "ضاد ملحونة" لا علاقة لها بالضاد العربية القديمة الأصيلة، والتي تشبه الظاء إلى حد بعيد، بل إلى درجة التي ما يزال العرب الأقحاح يلفظونها حتى يومنا هذا. وأنه ليس من العلم في شيء أن يوضع صوت محرّف علامة مميزة على لسان مبين، ناهيك

---

[٥٩] تفسير جامع البيان، الطبري، ج ١، ص ٥٢. جاء في "القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب" : " الأحرفُ السبعةُ التي أَنْزَلَ اللهُ بها القرآنَ هن لغاتٌ سبعٌ، في حرفٍ واحدٍ وكلمةٍ واحدةٍ، باختلافِ الألفاظِ واتفاقِ المعاني، كقولِ القائلِ: "هلم"، و"تَعالَ" و"أقْبِل"، و"إليَّ"، و"قَصْدي"، و"نحْوِي"، و"قُرْبِي"، ونحوِ ذلك مما تَخْتَلِفُ فيه الألفاظُ بضُروبٍ مِن المَنْطِقِ، وتَتَّفِقُ فيه المعاني، وإن اختلفتْ بالبيانِ به الألسنُ". ص ٥٢.

[٦٠] فوائد أبي عبد الله الفراء، الفراء، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٢٦.

[٦١] الكامل في اللغة والأدب، المبرد، ج ٢، ص ١٥٦.

[٦٢] الخصائص، ابن جني، ج ٢، ص ١٤.

[٦٣] المقدمة، ابن خلدون، ج ١، ص ٧٦٧.

[٦٤] تجمع كتب الكتب العربية التي تدرس الفصاحة والبلاغة على أن "البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"، راجع، "الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع" الخطيب القزويني ص ٢٠.

عن فرض رسمه المغلوط على الكتابة الصوتية الدولية IPA. وما دام هذا اللفظ المولّد يناسب طريقة الأعاجم وبخاصة "القبط" منهم، فإن "الضاد" لم يعد ميزة حسنة، بل صار صوتا إشكاليا في هوية لساننا العربي.

ومع سقوط حرف الضاد، بصيغته الحالية المولدة (الانفجارية) من الأصوات الاحتكاكية الهشة التي يتميز بها اللسان العربي، بقي حرف "الظاء" هو الحرف المميز الذي يتفرّد لساننا العربي بلفظه، وقد أجمع علماء اللسان العرب على ذلك، بقولهم: إن "الظّاء حرف عربي خُصَّ به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم".[٦٥]

ولكي لا يندرج تمييزنا للسان العربي بحرف الظاء ضمن " النزعة الشعوبية"، كما هو الحال مع دعاة صوت "الضاد القبطية المولدة"، فإن من الواجب معرفة أن "كثرة الأصوات وتعددها وبُعد مداها في أي لسان تكسبه تميزا في الأداء"، وتعطيه طاقات تعبيرية أكثر، وتجعله أكثر قدرة من غيره من الألسن على إيصال الأفكار المختلفة وبدقة وبلاغة. وأن اتساع مساحة اللفظ وامتداد الأصوات في النظام الألفبائي والصوتي هو مصدر غنى صوتي، وضبط إملائي أكبر، بما يؤدي إلى فوائد في الأداء اللغوي بما يشمل[٦٦]:

- تحسين الدقة والوضوح الصوتي، فاتساع حدود ومديات الأصوات في أي لغة يجعل من السهل التمييز بين الكلمات، بخاصة اللغات ذات الغنى الثقافي والدلالي.
- تحسين الوظائف الإدراكية وعمل اللسانيات العصبية، فحين تناسب أحرف الالفباء جميع الأصوات اللغوية، ستصبح اتقان القراءة والكتابة أكثر سهولة. وهي كذلك تقلل من العبء الإدراكي على المتعلمين وبخاصة الأطفال ومتعلمي اللغة الثانية.

ولهذا فإنّ تفرّد اللسان العربي بالظاء، وبغيره من الأصوات التي لا وجود لها في أصوات اللغات الأجنبية، يعدّ أمرا إيجابيا لاعتبار أن امتداد مدى الأصوات، واتساع مساحة اللفظ، ستتيح المجال إلى اتساع مساحة الألفاظ والمعاني والدلالات والاشتقاقات التي تغطيها أصوات ومفردات ذلك اللسان. وما دام "الظّاء حرف عربي خُصَّ به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم".[٦٧] فإن نعتنا لساننا بلسان الظاء سيكون إشارة لا إلى تميزه به وحسب، بل وإشارة معنوية إلى قوة أداء أصوات هذا اللسان المبين، أعني لسان الظاء.

٧. الاستنتاجات

أ. إن اللسان العربي أو ما نسميه اختصارا بـ"العربي" هو لسان القرآن، قديما، ولسان العرب حديثا، وأن "اللسان" هو الخيمة التي تجمع تحتها مجموعة من اللغات (اللهجات)، حيث أن اصطلاح "اللسان العربي" يشمل "لغات العرب" أو "لغات الأمصار"، بما فيها "اللغة العربية الفصحى" المخصصة للكتابة.

ب. إن "اللغة العربية الفصحى" هي اللغة التي وضع قواعدها النحاة، بحيث اعتمدت على الإعراب بعلامات الإعراب على أواخر الكلمات دون سائر اللغات العربية الأخرى.

ج. إن بعض العرب (المُتَعرّبين) وبخاصة ممن ورثوا اللفظ القبطي في مصر، انحرفوا في لفظهم حرف الضاد، وأخرجوه من كونه ظاء مرققة (ض) كصوت احتكاكي(fricative)، إلى ما يشبه الدال كصوت انفجاري(plosive) (د)، بما يعني أنهم أخرجوه من عربيته.

د. إن رسم صوتي الظاء والضاد في الكتابة الصوتية الدولية IPA يجب ألا ينحاز إلى اللفظ المصري الملحون (Ẓāʾ)، وأن يكتب الظاء (Ḍhāʾ) ويكتب الضاد (Dhāʾ) كما هو الحال في كتابة الرياضRiyaḍh وأبو ظبي Abu Ḍhabi.

هـ. إن اتساع مساحة الأصوات في اللسان العربي هي مزية كبيرة، تثري الدلالات وتزيد في دقة الأداء في التعابير، والعكس بالعكس.

و. إن أصوات اللسان العربي تبلغ ٤٢ صوتا، وأنه حال دون رسمها، واعتمادها في الهجاء اعتماد "حساب الجُمَّل". وأن على اللسانيين العرب المعاصرين في عصر الذكاء الاصطناعي (AI) أن يرسموا لكل صوت حرفا هجائيا يناسبه.

ز. إن الأصوات الأجنبية التي لا مقابل لها في الألفباء العربي، تكتب كما هي (پ، ڤ، چ، ژ، گ). وخاصة في كتابة المصطلحات والتسميات التجارية، وفي الطب والأدوية، وأسماء الأعلام والأماكن.

---

[٦٥] تهذيب اللغة، الأزهري، ج ١٤، ص ٢٩٠. وقد أورد هذه الحقيقة اللغوية معظم علماء اللسان العرب، مثل الزبيدي في تاج العروس، وابن الجوزي في غريب الحديث، وابن منظور في لسان العرب، بما يؤكد أن اللفظ العراقي اليوم لصوتي الظاء والضاد، هو اللفظ القديم الأصيل الذي يشابه فيه مخرج الظاء مخرج الضاد.

[٦٦] للاطلاع على كيف تؤدي زيادة أصوات اللغة في قدرتها على الأداء، يراجع كتاب " The Sounds of the World's Languages Peter Ladefoged and Ian Maddieson Blackwell, 1988.

[٦٧] تهذيب اللغة، الأزهري، ج ١٤، ص ٢٩٠. وقد أورد هذه الحقيقة اللغوية معظم علماء اللسان العرب، مثل الزبيدي في تاج العروس، وابن الجوزي في غريب الحديث، وابن منظور في لسان العرب، بما يؤكد أن اللفظ العراقي اليوم لصوتي الظاء والضاد، هو اللفظ القديم الأصيل الذي يشابه فيه مخرج الظاء مخرج الضاد.

إن دراسة التطور الصوتي تكشف عن وجود لحن واضح في لفظ بعض العرب لحرف الضاد، وأن مقولة أن "العربية لغة الضاد" بعد تحريف الضاد عن عربيته، تسببت في إفشاء اللحن، وينبغي التوقف عن ترديد هذه المقولة، والترويج لها، وأنه ينبغي على العرب العودة إلى مصطلح اللسان العربي أو "العربي" وتسميته كما عرفه الأقدمون "لسان الظاء". إن تسمية "اللغة العربية لغة الضاد" تشويه لحقيقة لسانية امتاز بها اللسان العربي، وأن الأصح والأكثر دقة أن ننعت لساننا العربي "بلسان الظاء" فهو الحرف الأكثر تمييزا لهذا اللسان ولهويته قديما وحديثا.

Conflicts Of Interest

The paper states that the author has no financial or non-financial interests that could be perceived as influencing the research or its interpretation.

Funding

The author's paper explicitly states that the research project did not receive any funding from institutions or sponsors.

Acknowledgment

The author expresses gratitude to the institution for their provision of software tools and equipment that supported data analysis and visualization.

References

[1] The Holy Qur'an.

[2] Al-Qahtani, T. (2009). *Asrār al-ḥurūf wa al-abjad al-'adadiyyah [Secrets of Letters and the Abjad Numerals]* (Master's thesis, College of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm al-Qura University, Saudi Arabia).Internet Archive

[3] Turkistani, M. Y. (1982). *Atlas lughāt Ṭayy [Atlas of the Languages of Tayy]* (Doctoral dissertation, College of Arabic Language, Umm al-Qura University, Saudi Arabia). ketabpedia

[4] Al-Zirikli, K. (2002). *Al-a'lām [The Notables]* (5th ed.). Dar al-'Ilm lil-Malāyīn. https://shamela.ws/book/12286

[5] Al-Qazwini, A. (2003). *Al-īḍāḥ fī 'ulūm al-balāghah: Al-ma'ānī wa al-bayān wa al-badī' [Clarification in Rhetoric: Semantics, Eloquence, and Rhetoric]* (I. Shams al-Din, Ed.). Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah. https://shamela.ws/book/7380

[6] Ibn Nasir al-Din al-Dimashqi, (1997). *Al-qawl al-badī' fī wafāt al-sharīf [The Marvelous Statement on the Death of the Eminent]* (A. al-Boushi, Ed.). Dar Ibn al-Atheer. suotuor

[7] Al-Jahiz, A. 'U. 'A. ibn B. (2002). *Al-bayān wa al-tabyīn [Clarity and Elucidation]* (A. M. Harun, Ed.). Dar wa Maktabat al-Hilal. Noor Book

[8] Al-Zabidi, M. M. (2001). *Tāj al-'arūs min jawāhir al-qāmūs [The Bride's Crown from the Pearls of the Dictionary]*. Ministry of Guidance and Information, National Council for Culture, Arts, and Letters. https://shamela.ws/book/7030

[9] Al-Tabari, M. J. (1994). *Jāmi' al-bayān 'an ta'wīl āy al-Qur'ān [Comprehensive Commentary on the Interpretation of Qur'anic Verses]* (B. A. Ma'ruf & I. F. al-Harastani, Eds.). Al-Risala Foundation. Noor Book

[10] Al-Azhari, M. A. (2001). *Tahdhīb al-lughah [Refinement of the Language]* (M. A. Murib, Ed.). Dar Ihya al-Turath al-Arabi. https://shamela.ws/book/7031

[11] Ibn Jinni, A. al-F. (n.d.). *Al-khaṣā'iṣ [The Linguistic Characteristics]* (M. A. al-Najjar, Ed., 4th ed.). Egyptian Book Organization. https://shamela.ws/book/9986

[12] Al-Anbari, A. al-B. (1971). *Zīnat al-fuḍalā' fī farq al-ḍād wa al-ẓā' [The Ornament of the Virtuous: On the Distinction between the Arabic Letters Ḍād and Ẓā']*. Dar al-Amana & Al-Risala Foundation. https://shamela.ws/book/14603

[13] Al-Dani, A. A. (1985). *Mawāqi' al-ḥarf al-ẓā' fī al-Qur'ān al-karīm [Occurrences of the Letter Ẓāʾ in the Holy Qur'an]* (A. H. al-Bawwab, Ed.). Maktabat al-Ma'arif. https://search.mandumah.com/Record/136922

[14] Fück, J. (2014). *Al-'Arabiyyah: Dirāsāt fī al-lughah wa al-lahajāt wa al-asālīb [Arabic: Studies in Language, Dialects, and Styles]* (A. H. al-Najjar, Trans.). National Center for Translation. Noor Books

[15] Bishr, K. (2000). *Al-aṣwāt [Phonetics]*. Dar Gharib Publishing. Noor Books

[16] Al-Dani, A. A. (n.d.). *Al-farq bayna al-ḍād wa al-ẓā' fī kitāb Allāh wa al-qirā'āt al-mashhūrah [The Distinction between Ḍād and Ẓāʾ in the Book of God and the Famous Qur'anic Readings]* (H. S. al-Dhamin, Ed.). Dar al-Bashair. https://shamela.ws/book/26988

[17] Al-Shaybani al-Mawsili, A. B. (2003). *Al-farq bayna al-ḍād wa al-ẓā' [On the Difference between Ḍād and Ẓāʾ]* (H. S. al-Dhamin, Ed.). Dar al-Bashair. https://shamela.ws/book/14603

[18] Al-Farra, M. A. (2004). *Nawādir Abī ʻAbd Allāh al-Farrāʼ [The Benefits of Abu Abdullah al-Farra]*. Jawami‘ al-Kalim Program, Islamic Network. https://shamela.ws/book/29767
[19] Al-Dusuqi, ʻU. (2000). *Fī al-adab al-ʻArabī [On Arabic Literature]*. Dar al-Fikr al-‘Arabi. https://shamela.ws/book/11565
[20] Anis, I. (1992). *Fī al-lahajāt al-ʻArabiyyah [On Arabic Dialects]* (8th ed.). Anglo-Egyptian Library.Noor Books
[21] Al-Mubarrad, A. al-‘A. (1997). *Al-kāmil fī al-lughah wa al-adab [The Complete Work on Language and Literature]* (M. A. F. Ibrahim, Ed., 3rd ed.). Dar al-Fikr al-‘Arabi. https://shamela.ws/book/8505
[22] Al-Farahidi, A. A. (n.d.). *Kitāb al-ʻAyn [The Book of the Letter ʻAyn]* (M. al-Makhzumi & I. al-Samarrai, Eds.). Dar wa Maktabat al-Hilal. https://shamela.ws/book/1682
[23] Sibawayh, A. B. ʻA. ibn ʻU. (1988). *Al-kitāb [The Book]* (A. M. Harun, Ed., 2nd ed.). Maktabat al-Khanji. https://shamela.ws/book/23018
[24] Ibn Manzur, M. ibn M. (1993). *Lisān al-ʻArab [The Tongue of the Arabs]* (3rd ed.). Dar Sader. https://shamela.ws/book/1687
[25] Gabriel, P., & Al-Bustani, K. E. (1964). *Al-lughah al-suryāniyyah: Al-uṣūl wa al-qirāʼah [The Syriac Language: Origins and Reading]*. Lebanese University Publications. tariq-library
[26] Anis, I. (1970). *Al-lughah bayna al-qawmiyyah wa al-ʻawlamah [Language Between Nationalism and Globalism]*. Dar al-Ma‘arif. Google Books
[27] Ibn Hassoun, I. ibn ʻU. (1946). *Al-lughāt fī al-Qurʼān [Languages in the Qurʼan]* (S. al-Munajjid, Ed.). Al-Risala Press. https://shamela.ws/book/9598
[28] Al-Farra’, A. Z. Y. ibn Z. (2014). *Lughāt al-Qurʼān [Languages of the Qurʼan]* (J. A. al-Saree‘, Ed.). Shamela Network. https://shamela.ws/book/14261
[29] Iraqi Scientific Academy. (1979, March 1). *Summary of the work of the Committee of Linguistic Origins in its sixth year (1977–1978)*. *Journal of the Iraqi Scientific Academy, 30*. pdf
[30] Al-Alawi, H. (1983). *Muqaddimat al-muʻjam al-ʻArabī al-jadīd [The New Arabic Dictionary: Introduction]*. Dar al-Hiwar for Publishing and Distribution. foulabook
[31] Ibn Faris, A. al-H. A. (1979). *Muʻjam maqāyīs al-lughah [Dictionary of Language Measures]* (A. M. Harun, Ed.). Dar al-Fikr. https://shamela.ws/book/21710
[32] Al-Hajjaj, N. (2024). *Al-maḥalliyyah al-ʻArabiyyah [Arab Localism]*. Basrah Governorate Diwan, Basriyatha. mesopotamian
[33] Ibn Khaldun, ʻA. al-R. (1981). *Al-muqaddimah [The Muqaddimah or The Book of Lessons and the Record of the Beginnings and Events in the History of the Arabs and Berbers and Their Powerful Contemporaries]* (K. Shahada & S. Zakkar, Eds.). Dar al-Fikr. https://shamela.ws/book/12320
[34] Ibn al-Jazari, M. A. (n.d.). *Al-nashr fī al-qirāʼāt al-ʻashr [The Spreading of the Ten Quranic Recitations]* (M. A. al-Sabbagh, Ed.). Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah. https://shamela.ws/book/22642
[35] Freiha, A. (1981). *Naẓariyyāt fī al-lughah [Theories in Language]* (2nd ed.). Lebanese Book House. Noor Books
[36] Ladefoged, P., & Maddieson, I. (1988). *The sounds of the world’s languages*. Blackwell. Google Book